

غيض الأرحام

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِمُ﴾ الرعد: ٩٨.

الدلالة العلمية:

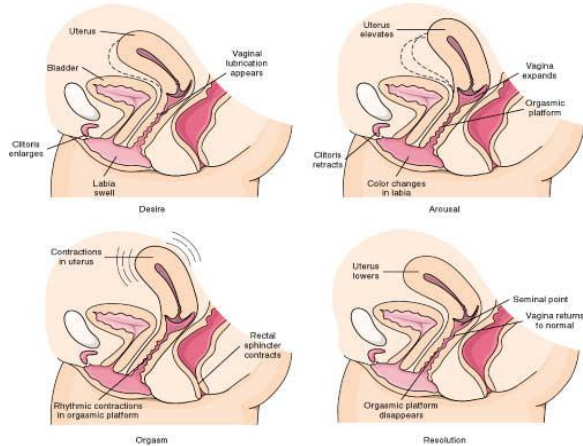
في قوله تعالى: "وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَّبِينٍ" الأنعام: ٥٩؛ قصرت الآية الكريمة العلم التفصيلي المسبق بكل مقدر الحدوث قبل وقوعه على الله تعالى وحده، وجعلته غيباً عن علم البشر، وذكر القرآن خمسا تتعلق بحياة الإنسان ومصيره؛ يقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" لقمان: ٣٤، والتعبير (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) مطلق فشمّل كل مغيب عن مشروع الإنسان المقبل ومستقبله ومصيره بعد الحساب مما ليس بمقدور بشر إدراكه فضلا عن الإحاطة بتفاصيله، ولا يعارض القرآن إذن معرفة الطب حالياً ببعض أحوال الجنين لأن المحجوب هو العلم المحيط به قبل أن يُخْلَق.

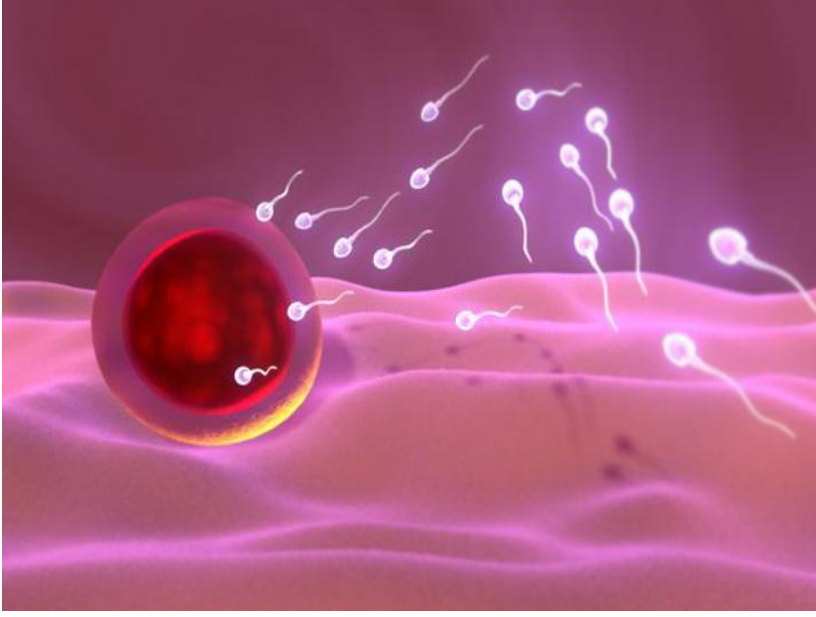
وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِمُ﴾ الرعد: ٩٨؛ جاء العلم مطلقاً بأحوال الإنسان القادم حتى يصبح شبيبة أو تعاجله المنية في التعبير: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى)؛ فشمّل كل ما يتعلق بالإنسان المنتظر قبل تكونه وهو غيب لا يعلم به إنسان كما هو شهادة تراها العين بازدياد الأرحام، وعلى طريقة اللف والنشر في مصطلح اللغويين بأن يرد مذكوران يعقبهما وصفان يعود كل منهما على مذكور؛ وردت حالتان: غيض الأرحام وزيادتها، وعاد العلم بالغيب على حالة غيض الأرحام والعلم بالشهادة على حالة زيادتها، وإذا كانت الزيادة أغلبها شهادة عين فيقتصر العلم بالغيب إذن على الجنين قبيل التخليق حال غيض الأرحام، والمعنى إذن أن الأرحام تنتهي بكيفية لاستقبال ماء التخصيب قبيل تخلق أول خلية وظهور البرنامج الوراثي للإنسان المقبل، وحمل غيض الأرحام إذن على السقط يُهمل ترابط السياق والتقدير في مراحل مرتبة وينتهي مشروع الأصل فيه اكتمال كافة المراحل؛ ليتضح العلم بغيب لم يقع بعد مقدر في مراحل كل منها مقدمة لما بعدها حتى يصبح الإنسان كهلاً ويموت ويُحاسب.

التوافق مع العلوم الحديثة:

لم يعرف أحد بإمكان غيض الأرحام وانقباضها ونقصاتها عند التزاوج حتى أعلنت عنها الدراسة التي أجراها ويليام ماستر William Masters وزوجته فرجينيا جونسون Virginia Johnson عام ١٩٦٦؛ حيث تميزت استجابة الأنثى إلى أربعة مراحل يغور فيها الرحم وينقبض استعداداً لاستقبال ماء الإخصاب ومعاونته لبلوغ البويضة بالية الشفط.

The Female Sexual Response Cycle





فمع اندفاع المنى في المجاري التناسلية للمرأة ينقبض الرحم ويغور للداخل بالفعل بسبب مادة موجودة في السائل المنوي تسمى بروستاغلاندين Prostaglandin؛ ويعينها تقلص لا إرادي يقع للمرأة أثناء مرحلة النشوة Orgasm ، وبهذا يعمل الرحم عمل المضخة Pump Action بطريقة تماثل عمل شفاطة لبن الثدي المطاطية التي تنقبض لتدفع الهواء فيقل الضغط داخلها مما يساعد على شفط اللبن الزائد، وبالمثل ينبسط الرحم لاحقا فيعين الحيوانات المنوية على بلوغ البويضة قرب نهاية قناة الرحم، ولذا لا يقل دور الرحم هذا أهمية في معاونة الحيوانات المنوية تخصيب البويضة عن دوره في حفظ الحمل على طول

مراحله، حيث يزداد حجما بما يتناسب ومتطلبات الجنين، وتحمل البويضة نصف عدد الفتائل الوراثية (الكروموزومات) ويحمل الحوين النصف الآخر، وتتسابق الحيوانات المنوية وتتلو في المجاري التناسلية للمرأة ليحقق الفوز في بلوغ البويضة وإخصابها إما حيوان يحمل شارة الذكورة (كروموزوم بهيئة Y) فيكون الجنين المرتقب ذكراً بإذن الله تعالى؛ وإما حيوان يحمل شارة الأنوثة (كروموزوم بهيئة X) فيكون الجنين أنثى بإذن الله تعالى، والبويضة الملقحة Zygote أشبه ما تكون بقطيرة أي نطفة لكنها تعرض لمن يمكنه القراءة كتابا تفصيليا بمشروع الجنين المرتقب، وقبل تلقيح البويضة وتشكل الخريطة الوراثية وتخلق الجنين لا يمكن الحديث طبياً عن جنسه أو صفاته الجسدية، وبتلقيحها تتضاعف الفتائل الوراثية، وبالانقسام تتزايد الخلايا، وبنمو الجنين يزداد الرحم، ولذا يعتبر الحمل كله وجوها من الازيداد.

وفي قوله تعالى: **"اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ"** الرعد: ٨ و٩؛ أكدت الآية الكريمة قصر العلم التفصيلي المسبق بكل مقدر الحدوث قبل وقوعه على الله تعالى وحده؛ لكنها جمعت لله تعالى وحده كل ما هو بالنسبة للبشر غيب لم يقع بعد، فضلا عما هو شهادة متحقق الحدوث، وراعت ترتيب علم الله تعالى بالغيب بالنسبة للبشر لينظر غيض الأرحام وترتيب العلم بالشهادة لينظر زيادتها، ويعرف هذا الأسلوب عند اللغويين باسم "اللف والنشر"، ويعني أن الأرحام تغيض قبيل تخلق الجنين وازديادها، وبالفعل ينقبض الرحم ويغور للداخل قبل وقوع الإخصاب وتشكل الخريطة الوراثية، ولا يمكن لأحد حينئذ سوى الله تعالى وحده العلم بخصائص الجنين أو ذكورته وأنوئته، وفعل (تَغِيضُ) منسوب ابتداء في الآية الكريمة إلى (الأَرْحَامِ)، وهو يفيد الغور والنقصان؛ خاصة في مقابل الازيداد، في لسان العرب: "غاض الماء يغيض غيضا.. نقص أو غار"، ويقول تعالى: **"وَقِيلَ يَا رَأْسُ ابْنِ مَاعِكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ"** هود: ٤٤، ويقول تعالى: **"أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا"** الكهف: ٤١، ويقول تعالى: **"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوَكُمْ غُورًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ"** الملك: ٣٠، والخلاصة أن الله تعالى يعلم بمستقبل ومصير الإنسان المقبل الذي لم يتخلق بعد حال غيض الأرحام؛ تماما كما هو حال زيادتها بعد تخلقه.

ويأتي الحديث مؤيدا نسق القرآن الكريم في قصر الغيب المطلق عن علم البشر حال غيض الأرحام قبل تخلق الجنين دون حال ازديادها بعد تخلقه؛ ففي الحديث الذي رواه البخاري: **"عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"**.

قال ابن كثير: **"هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد.. فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب.. وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة، ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في**

الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر علمته الملائكة، ومن شاء الله من خلقه، وكذا لا تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت.. وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب"، وقد ورد في الحديث أن الملائكة تعلم بحال الجنين منذ بدء تكون النطفة، ففي الحديث الذي رواه البخاري: عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكا يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة. فإذا أراد أن يقضي خلقه، قال: أذكر أم أنثى؟، شقي أم سعيد؟، فما الرزق والأجل؟، فيكتب في بطن أمه".

وقد سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله تعالى جميعاً): كيف نوفق بين علم الأطباء الآن بذكورة الجنين وأنوئته، وقوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)؟ فأجاب في رسائله بقوله: "قبل أن أتكلم عن هذه المسألة أحب أن أبين أنه لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن الكريم مع الواقع أبداً، وأنه إذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة له، وإما أن يكون القرآن الكريم غير صريح في معارضته؛ لأن صريح القرآن الكريم وحقيقة الواقع كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيين أبداً، فإذا تبين ذلك فقد قيل: إنهم الآن توصلوا بواسطة الآلات الدقيقة للكشف عما في الأرحام، والعلم بكونه أنثى أو ذكراً، فإن كان ما قيل باطلاً فلا كلام، وإن كان صدقاً فإنه لا يعارض الآية، حيث إن الآية تدل على أمر غيبي هو متعلق علم الله تعالى في هذه الأمور الخمسة، والأمور الغيبية في حال الجنين هي: مقدار مدته في بطن أمه وحياته وعمله ورزقه، وشقاوته أو سعادته، وكونه ذكراً أم أنثى قبل أن يخلق، أما بعد أن يخلق فليس العلم بذكورته أو أنوئته من علم الغيب؛ لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاث التي لو أزيلت لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله تعالى من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكراً أم أنثى..، قال ابن كثير رحمه الله..: (وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى، أو شقياً أو سعيداً، علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء من خلقه)..، وإذا كانت الآية لا تتناول ما بعد التخليق، وإنما يراد بها ما قبله فليس فيها ما يعارض ما قيل من العلم بذكورة الجنين وأنوئته..، ولا يمكن أن يناقض صريح القرآن الكريم أمراً معلوماً بالعيان".

وقال فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني: "وإذاً هناك نصوص قد بينت بجلاء أن الأمر المحجوب عن علم غير الله إنما هو في مرحلة ما قبل تكون الجنين، فعلمنا أن الأرحام قبل أن تزداد حتى يراها كل المحيطين بالحامل تعاني من حالة تقلص وانكماش وغور ونقصان، وفي تلك الفترة حال الجنين المرتقب محجوب عن علم غير الله تعالى..، (فهو) مفتاح من مفاتيح الغيب يفتح على أبواب مغلقة، ولا يملكه دون الخالق سبحانه أحد.. وأما حمل الغيض على دم الحيض (أو السقط) فلا يتفق مع كونه مفتاحاً للغيب لأنه لن ينشأ منه جنين، وبإجماع علماء المسلمين مفتاح الغيب متعلق بالإنسان الذي سيخلق وقد تقرر في علم الله تعالى أن له مستقبلاً مغيباً وليس دم الحيض (أو السقط) كذلك، وفي مرحلة الغيض يستحيل على إنسان أن يعرف صفات الجنين المقبل.. ولو جنت بصفين؛ وقلت: أنا سأصنع من هذه الأحجار بناء هل سيعلم أحد السامعين يقينا أيكون من الصفين مدرسة أم مستشفى؟ فيلا أم عمارة؟ هكذا الجنين في مرحلة الغيض لا يعلم أحد غير الله تعالى بما سيكون عليه حاله"، ولو افترضنا جدلاً إذن إمكان قراءة الخريطة الوراثية Genetic Map بعد تخلق أول خلية حية للإنسان ومعرفة شينا من صفاته وجنسه فلن ينقض هذا نصوص الوحي.

Related references:

- 1. Romer, Alfred Sherwood; Parsons, Thomas S. (1977). *The Vertebrate Body*. Philadelphia, Pennsylvania: Holt-Saunders International. pp. 390–39.**
- 2. Nemy, Enid. "AN AFTERNOON WITH: Masters and Johnson; Divorced, Yes, But Not Split", *The New York Times*, 2008-12-03.**
- 3. Masters, W. H., & Johnson, V. E. (1979). *Homosexuality in perspective*. Boston: Little, Brown and Company.**
- 4. Helgason, Asgeir; Jan Adolfsson, Paul Dickman, Stefan Arver, Mats Fredrikson, Marianne Göthberg and Gunnar Steineck (1996). "Sexual Desire, Erection, Orgasm and Ejaculatory Functions and Their Importance to Elderly Swedish Men: A Population-based Study". *Age and Ageing* (Oxford University Press) 25 (4): 285–291.**
- 5. Masters, W.H.; Johnson, V.E. (1979). *Homosexuality in Perspective*. Toronto; New York: Bantam Books.**
- 6. Schwartz, MF; Masters, WH (1 February 1984). "The Masters and Johnson treatment program for dissatisfied homosexual men". *American Journal of Psychiatry* 141 (2): 173–181.**